محاضرة ... ٢/٤/٢٠١٥ مهم جداً في الرد على الشبهات

دفع الاشتباه والالتباس عن تزويج الله عائشة لسيد الناس (صلى الله عليه وسلم)

روى البخاري رحمه الله عن هشام عن أبيه عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ أريتك في المنام مرتين: إذا رجلٌ يحملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمضه".

وعنها ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: أريتك قبل أن أتزوجك مرتين- رأيت الملك يحملكِ في سرقةٍ من حرير، فقلت له: اكشف، فكشف، فإذا هي أنت، فقلتُ: إن يكن هذا من عند الله يمضه، ثم أريتك يحملك في سرقةٍ من حرير. فقلت: اكشف، فكشف، فإذا هي أنت، فقلت: إن يكُ هذا من عند الله يُمضِه[١].

لعلها تجمع بين الروايتين الثانية والثالثة ؟

وروى الإمام مسلم عن عائشة ﵂ أنها قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: أريتكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ جاءني بكِ المَلَكُ في سرقةٍ من حريرٍ فيقولُ هذهِ امرأتكَ فأكشفُ عنْ وجهكِ فإذا أنتِ هيَ فأقولُ إنْ يكُ هذا منْ عندَ الله يُمضِه"[٢].

• • •

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ك التعبير ٢٠، باب كشف المرأة في المنام، ٢١ باب ثياب الحرير في المنام فتح ١٢/٣٩٩ ومناقب الأنصار باب ٤٤، في النكاح باب ٣٥.

(٢) صحيح مسلم ك الفضائل – باب فضائل السيدة عائشة ﵂ ١٥/٢٠٢ شرح النووي.

الترمذي في المناقب – من فضل عائشة ﵂ تحفة الأحوذي ١٠/٣٧٩،
أحمد بن حنبل ٦/٤١، ١٢٨، ١٦١

بين يدي النص :

في أعقاب الفيلم المسيء لسيد البشر ﷺ رأيت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في صورة إنسانة عاتبة غاضبة رأيتها تجلس على كرسي في ملابس سابغة وافرة ورأيتها من جانبها لا من المواجهة، وفكرت طويلاً في ذلك هل فيه تقصير من جانبي نحو أمنا رضي الله عنها، حتى لقيت بعض من رأى هذا الفيلم المسيء، وذكر لي أن الفيلم ذكر أم المؤمنين، وأن رسول الله ﷺ بنى بها وهي صغيرة، لكنها كانت في الرؤيا كبيرة عليها المهابة والوقار، فقلت لابد من الكتابة في هذا الأمر، لأن أعداء الإسلام من المستشرقين يتطاولون بين الحين والحين، ولم يكفوا عن تناول سيد الكونين من عرب ومن عجم، ورسول الثقلين ﷺ حسدًا من عند أنفسهم، إما لأن نعمة النبوة والرسالة سلبت منهم إلى بني إسماعيل – وكانوا يقولون: (ليس علينا في الأميين سبيل)، وقد ظلت النبوة فيهم دهورًا طويلة حتى استهانوا بالأنبياء، فقتلوا منهم من قتلوا واتهموا من اتهموا بما لا يقوى القلم عن التعبير عنه.

ولأن أعداء الإسلام ضيعوا كتبهم فحرفوها، وبدلوها بأقوالهم، وكتاب الله الخالد (القرآن الكريم) باق إلى يوم الدين، ولأن الدعوة الإسلامية غزت بلاد الكفر وأسلم خيارهم، وبقى شرارهم يتطاولون على مقام النبوة، يتناولون ذاته مرة وأهل بيته الكرام مرة أخرى، ولا تزال النصوص الدينية تتولى توضيح أمر أم المؤمنين وزواج رسول الله ﷺ بها، وملابسات هذا الزواج الذي أمر به الله تعالى وأوحى به لرسوله ﷺ، ونزل جبريل بصورتها ليخبر رسول الله ﷺ أنها زوجته، ولأنه ﷺ دخل بها وهي مكتملة وافية السن والنضج على وفق شرع الله تعالى، واستجابة لأمره.

المفردات :-

قوله ﷺ : (أُريتُكِ في المنام ثلاث ليال) : أي أراه الله صورتها في المنام، في رواية البخاري (مرتين) وكذا الأكثر جازمون بمرتين. وفي رواية حماد ابن سلمة (مرتين أو ثلاثا) بالشك فاختصر البخاري على المحقق وهو قوله مرتين.

(في سرقة من حرير) : بفتح السين المهملة والراء، أي قطعة قماش من حرير.

وعند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : (أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة)[1].

(الخرقة): بكسر المعجمة وسكون الراء. القطعة من الثوب، ووقع عند الآجري من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها : (لقد نزل جبريل بصورتي في راحته، حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني)، ويجمع بين الروايتين: بأن المراد أن صورتها كانت في الخرقة والخرقة في راحته، ويحتمل أن يكون نزل بالكيفيتين لقولها في نفس الخبر مرتين.

قوله : (هذه امرأتك). وعند مسلم :(هذه زوجتك) أي صاحبة هذه الصورة زوجتك.

وقال في المرتين : (فقلت له: اكشف فكشف) وفي النكاح: (فقال لي: هذه امرأتك فَكَشَفْتُ عن وَجْهِكِ) ويجمع بينهما أن نسبة الكشف إليه لكونه الآمر به، وأن الذي باشر الكشف هو الملك.

وروى الترمذي عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: (هي زوجته في الدنيا والآخرة).

---

(1) تحفة الأحوذي ك الفضائل – فضائل عائشة ١٠/٣ ٧٩ رقم ٣٩٦٧.

وكذا رواه ابن حبان عن عائشة ﵂ (أن النبي ﷺ قال لها: (أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة ؟) قوله: (فإذا هي أنت) قال القرطبي: يريد أنه رآها في النوم كما رآها في اليقظة، فكانت المراد بالرؤيا لا غيرها، وقد بين حماد بن سلمة في روايته المراد. ولفظه (أتيت بجارية في سرقة من حرير بعد وفاة خديجة فكشفتها فإذا هي أنت) ... الحديث.

(فأقول : إن يك من عند الله يمضه): لها ثلاثة معان: أحدها: أن المراد: إن تكن الرؤيا على وجهها وظاهرها، لا تحتاج إلى تعبير وتفسير فسيمضه الله تعالى وينجزه، فالشك عائد إلى أنها رؤيا على ظاهرها، أم تحتاج إلى تعبير وصرف على ظاهرها ؟ ، الثاني: أن المراد: إن كانت هذه الزوجة في الدنيا يمضها الله، فالشك أنها زوجته في الدنيا أم في الجنة، الثالث: أنه لَمْ يَشُك، ولكن أخبر على التحقيق وأتى بصورة الشك كما قال: (أأنت أم سالم) وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة، يسمونه تجاهل العارف، وسماه بعضهم مزج الشك باليقين " [1].

أم المؤمنين السيدة عائشة ﵂ :

هي الصديقة بنت الصديق الأكبر ﵁ واسمه عبد الله بن أبي قحافة. واسم أبي قحافة: عثمان، وأمها: أم رومان. الحبيبة. بنت الحبيب، الفقيهة العالمة المبرأة من كل عيب، أحب نساء المصطفى ﷺ إليه بعد خديجة.

أتى جبريل عليه السلام بصورتها على ورقة من الجنة – أو قطعة حرير – وقال: إن الله تعالى زوجك بهذه، فأخبرها أبو بكر بذلك. وقال لها: يا بنية إن الله تعالى قد زوجك بالنبي ﷺ. وإني قد زوجتك منه. قالت

---

(1) شرح النووي على مسلم ٣٠٢/١٦ وفتح الباري ٤٠٠/١٢.

عائشة: فما فرحت بشيء أشد من فرحي بقول أبي بكر ﷺ: قد زوجتك منه.

ومن خصائصها ﷺ: أن الوحي لم ينزل على المصطفى ﷺ في لحاف امرأة غيرها، وتوفي ﷺ ورأسه في صدرها، ودفن في بيتها، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت تفتي في مدة الخلفاء الأربعة ﷺ، وعن عروة ﷺ قال: ما رأيت امرأة أعلم بطب، ولا بفقه ولا بشعر من عائشة، وعن الزهري أن النبي ﷺ قال: (لو جمع علم نساء هذه الأمة فيهن – أي أزواج النبي ﷺ – كان علم عائشة أكثر من علمهن).

وعن معاوية ﷺ قال: (ما رأيت أحدًا قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة).

وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا).

كانت ﷺ على غاية من الصلاح والتقوى والزهد في الدنيا. أخرج ابن سعد من طريق أم ذرّة. قالت: أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها، وهي يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه؟ فقالت: لو كنت ذكرتني لفعلت" رضي الله عنها وأرضاها.

زواج رسول الله ﷺ من السيدة عائشة ﷺ:

لا يهدأ لأعداء الإسلام بال ولا تنام لهم عين سهرا في التفتيش عن شيء يشنعون به على هذا الدين العظيم ونبيه ﷺ، ومن الأمور التي لا ينفكون عن الحديث عنها، وهي مسألة زواج رسول الله ﷺ من عائشة ﷺ، خاصة وأن كتب التاريخ والسنة لم تخف شيئًا من أمر هذا الزواج،

فقد روى الإمام أحمد (عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه إلى المدينة بسنتين أو ثلاث وأنا بنت سبع سنين، وفي لفظ ست سنين، فلما قدمنا المدينة جاءتني نسوة، وأنا ألعب في أرجوحة، وأنا مجمة[1]. فذهبن بي، فهيأنني، وصنعنني، ثم أتين بي رسول الله ﷺ فبنى بي وأنا بنت تسع سنين" [2]. وأكثر الروايات أن رسول الله ﷺ عقد عليها وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين. فقد توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها قبل هجرة النبي ﷺ بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريبًا من ذلك ثم عقد على عائشة.

ونظرًا لأن أعداء الإسلام يتناولون هذا الأمر بين الحين والحين، فأرى من واجبي كمسلم أن أرد عن هذا الزيف وهذا الرد لا يلزم أن يكون لإقناع المشرك المعاند، فإنه وقد استحكم الكفر في قلبه – فلن يقتنع وإنما هو من باب التذكير للمسلم الذي يطلع على هذه السفاهات من أعداء الإسلام. فأقول وبالله التوفيق : -

أولاً: الرسول ﷺ لم يطلب الزواج من السيدة عائشة رضي الله عنها في بادئ الأمر، ولكن الذي زوجها له هو ربنا عز وجل (فقد جاء الملك بصورتها في سرقة من حرير. فيقول: هذه امرأتك) ثلاث مرات يتكرر هذا الأمر.

وهذا الملك هو جبريل عليه السلام، وهذه الرؤية بعد أن أوحى إليه كما جاء في رواية حماد بن سلمة : ولفظه : أتيت بجارية في سرقة من حرير، بعد وفاة خديجة فكشفتها فإذا هى أنت) قال القرطبي: يريد أنه رآها في النوم كما رآها في اليقظة – ورؤيا الأنبياء حق واقع لا شك فيه.

---

(1) مجمة : الجمة بالضم : ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين .

(2) الفتح الرباني – ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٢/١٠٩.

ثانيًا: لقد رشح النساء السيدة عائشة إلى رسول الله ﷺ قبل أن تخطر على باله. والنساء أعرف بهذا الأمر هل تصلح للزواج أو لا تصلح. روى الإمام أحمد أنه بعد وفاة السيدة خديجة ﵂ بسنتين أو قريبًا "جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله ألا تتزوّج؟ قال: من ؟ قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا، قال: فمن البكر ؟ قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك، عائشة بنت أبي بكر.

قال: ومن الثيب ؟ قالت: سودة ابنة زمعة، آمنت بك واتبعتك على ما تقول" [١]. قال: فاذهبي فاذكريهما علي، فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان[٢]. ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: وما ذاك ؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال: وما ذاك ؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ. فذكرت له ذلك، قال: ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي، فرجعت فذكرت ذلك له، قال: انتظري وخرج"[٣]. فهل ترشحها السيدة خولة للزواج وهي صغيرة لا تقبل الزواج؟ وهل يوافق أبوها ولا يعترض إلا على المآخاة فقط، كما توافق أمها على ذلك وهي لا تصلح للزواج وتعرض ابنتها لأمر فوق طاقتها ؟ !!

---

(١) كانت قبل رسول الله ﷺ تحت ابن عمها السكران بن عمرو. وكان مسلمًا وهو من مهاجرة الحبشة، ثم قدما مكة فمات بها السكران مسلمًا.

(٢) أم رومان الفراسية زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة وعبد الرحمن صحابية.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢١٠/٦.

ثالثاً: لقد خطبت السيدة عائشة قبل توجه السيدة (خولة) إلى أبويها لخطبتها لرسول الله ﷺ، فقد خطبها المطعم بن عدي لابنه جبير قبل إسلامه، وجاء في هذا النص الذي رواه الإمام أحمد عن أبي سلمة ويحيى: (قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، فوالله ما وعد وعداً قط فأخلفه – لأبي بكر – فدخل أبو بكر ﷺ على مطعم ابن عدي، وعنده امرأته أم الفتى، فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْبٍ صاحبنا، مُدخلة في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك ؟[1]. قال أبو بكر للمطعم ابن عدي: أَقَوْلَ هذه تقُولُ ؟ قال: إنها تقول ذلك[2]. فخرج من عنده، وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التي وَعَدَهُ، فرجع فقال: ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه "[3].

إذن: لم تخطب عائشة ﷺ على رسول الله ﷺ إلا بعد أن خطبها المطعم بن عدي لابنه جبير، ثم أعرض عن خطبتها خوفاً من أن تدخل ابنه في الإسلام فتوجه الرفض من المطعم ثم من أبي بكر ﷺ، ولم يكن قبول أبي بكر لزواج السيدة عائشة من رسول الله ﷺ إلا بطيب خاطر وقبول تام وسرور منه ومن أمها، بعد أن توقفا للتأكد من الخطبة الأولى هل هي ماضية مستمرة أم لا، وهذا يؤكد على أن عائشة ﷺ كانت تصلح لهذا الزواج وكانت راضية فرحة به، وافرة القدرة عليه.

رابعاً: بعد هذه الموافقة من الأبوين على الخطبة لم يتم الدخول بالسيدة عائشة مباشرة وإنما بقيت السيدة عائشة من سنتين إلى ثلاث سنين. فقد

---

(1) معناه: إن تزوج ابنتك تخشى أن تميله وتخرجه من دينه إلى دينك، وكانت المرأة كافرة هي وزوجها وابنها، وذلك قبل نزول تحريم زواج الكافر المسلمة.

(2) فهم أبو بكر ﷺ من قوله هذا أنه موافق زوجته على قولها، وأنها أثرت عليه، وأنه لا رغبة لهما في مصاهرته، وحينئذ كره أبو بكر مصاهرتهما اهـ (الفتح الرباني ٢٠/٢٣٨).

(3) مسند الإمام أحمد ٦/٢١٠ والفتح الرباني ٢٠/٢٣٨.

تزوج ﷺ بعد هذه الخطبة السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها، قالت السيدة خولة رضي الله عنها : (ثم خرجتُ فدخلتُ على سودة بنت زمعة، فقلتُ: ماذا أدخل الله عز وجل عليك من الخير والبركة ؟ قالت: وما ذاك ؟ قلتُ: أرسلني رسول الله ﷺ لأخطبك عليه، قالت: وددتُ، أدخلي إلى أبي فاذكري ذاك له، وكان شيخًا كبيرًا قد أدركه السن، وقد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه ؟ فقلتُ: خولة بنت حكيم.

قال: فما شأنك ؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله ﷺ أخطب عليه سودة. قال: (كفء كريم)، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تُحبُّ ذاك، قال: ادعيها إلى فدعيتها، قال: أي بنيه إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت: نعم. قال: ادعيه إلى، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه "[١].

فكان دخوله ﷺ بمكة، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى السنة الثانية من الهجرة وكان بالمدينة بعد غزوة بدر.

خامساً : أقل سن تحيض فيه المرأة : ـ

قال الإمام النووي رحمه الله : أقل سن تحيض فيه المرأة تسع سنين.

قال الشافعي رحمه الله : أعجل من سمعت من النساء تحيض نساء تهامة يحضن لتسع سنين، فإذا رأت الدم لدون ذلك فهو دم فساد، ولا تتعلق الحيض).

الشرح : تهامة – بكسر التاء – اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ومكة من تهامة، قال ابن فارس: سميت تهامة من التهم يعني

(١) مسند الإمام أحمد ٦/٢١٠.

بفتح التاء والهاء- وهو شدة الحر وركود الريح، وقال صاحب المطالع: سميت بذلك لتغير هوائها، يقال: تهم الدهن إذا تغير.

أما حكم المسألة: ففي أقل سن يمكن فيه الحيض: ثلاثة أوجه الصحيح استكمال تسع سنين، وبه قطع العراقيون وغيرهم. والثاني: بالشروع في التاسعة. والثالث: بمضي نصف التاسعة، والمراد بالسنين القمرية.

والمذهب الذي عليه التفريع استكمال تسع وهل هي تحديد أم تقريب؟ وجهان حكاهما صاحب الحاوي والدارمي في كتاب المتحيرة والمتولي والشاشي وغيرهم. أحدهما: تحديد، فلو نقص عن التسع ما نقص فليس بحيض وهذا مقتضى إطلاق كثيرين وأصحهما تقريب صححه الروياني والرافعي وغيرهما، فعلى هذا قال صاحب الحاوي: لا يؤثر نقص اليوم واليومين، قال الدارمي: لا يؤثر الشهر والشهران.

قال المتولي والرافعي: إن كان بين رؤية الدم واستكمال التسع ما لا يسع حيضًا وطهرًا كان ذلك الدم حيضًا وإلا فلا. قال المتولي: وإذا قلنا تحديد فرأته قبل التسع متصلاً باستكمالها نظر إن رأت قبل التسع أقل من يوم وبعد التسع يومًا وليلة جعل الجميع حيضًا، وإذا رأت قبل التسع يومًا وليلة وبعدها دون يوم وليلة فليس لها حيض وإن كان الجميع يومًا وليلة بعضه قبل التسع وبعضه بعدها فهل يجعل حيضًا؟ فيه وجهان: قال الدارمي بعد أن ذكر الاختلافات: كل هذا عندي خطأ لأن المرجع في جميع ذلك إلى الوجود، فأي قدر وجد في أي حال وسن كان، وجب جعله حيضًا والله أعلم.

ثم إن الجمهور لم يفرقوا في هذا بين البلاد الحارة والباردة وفيه وجه حكاه إمام الحرمين عن حكاية والده أنه إذا وجد الدم لتسع سنين في

البلاد الباردة التي لا يعهد في أمثالها مثل ذلك فليس بحيض والمذهب الأول./ قال أصحابنا: قال الشافعي رحمه الله : رأيت جدةً بنت إحدى وعشرين سنة وقيل إنه رآها بصنعاء اليمن قالوا: هذا رآه واقعًا، ويتصور جدة بنت تسع عشرة سنة ولحظة فتحمل لتسع وتضع لستة أشهر بنتًا، وتحمل تلك البنت لتسع سنين، وتضع لستة أشهر، هذا ما يتعلق بأقل سن الحيض، وأما آخره فليس له حد بل هو ممكن حتى تموت، كذا قال صاحب الحاوي وغيره، وهو ظاهر، قال أصحابنا: فالمعتمد في هذا الوجود، وقد وجد من تحيض لتسع سنين، فوجب المصير إليه كما يرجع إلى العادة في أقل مدة الحمل وأكثرها، وفي القبض في المبيع، وإحياء الموات، والحرز في السرقة وغيرها، أما إذا رأت الدم لدون أقل سن الحيض المذكور، فليس بحيض، بل هو حدث ينقض الوضوء ولا يجب الغسل، ولا يمنع الصوم، ولا يتعلق به شيء من أحكام الحيض، ويسمى دم فساد، وهل يسمى استحاضة ؟ فيه خلاف.

فرع : قال النووي: قال أصحابنا: أقل سن يجوز أن تنزل المرأة فيه المني هو سن الحيض، وفيه الأوجه الثلاثة السابقة، الصحيح استكمال تسع سنين. قال إمام الحرمين: وعلى الجملة، هي أسرع بلوغًا من الغلام، وأما الغلام فاختلفوا فيه، وحاصل المنقول فيه ثلاثة أوجه، أصحها عند العراقيين: استكمال تسع سنين، وبهذا قطع جماعة منهم هنا في باب الحيض، كالشيخ أبي حامد، والبندنيجي، والقاضي أبي الطيب وابن الصباغ، والثاني: مضي تسع سنين ونصف، وهو ظاهر نص الشافعي رحمه الله في كتاب اللعان، والثالث: استكمال عشر سنين اهـ.[1].

---

(1) المجموع شرح مهذب الشيرازي ٢/٢٥٢، ٢٥٣.

وقال ابن قدامة في كتابه (المغني) : وأقل سن تحيض لـه المرأة تسع سنين، لأن الصغيرة لا تحيض، بدليل قوله تعالى: (واللائي لم يحضن) [٦٥- ٤] ، ولأن المرجع فيه إلى الوجود، ولم يوجد من النساء من يحضن عادة فيما دون هذا السن، ولأن دم الحيض إنما خلقه الله لحكمة تربية الحمل به، فمن لا تصلح للحمل لا توجد فيها حكمته، فينتفي لانتفاء حكمته كالمني، فإنهما متقاربان في المعنى، فإن أحدهما يخلق منه الولد، والآخر يربيه ويغذيه، وكل واحد منها لا يوجد من صغير، ووجوده علم على البلوغ، وأقل سن تبلغ له الجارية تسع سنين، فكان ذلك أقلَّ من تحيضُ له، وقد روي عن عائشة ﷺ أنها قالت: (إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة).

وروي ذلك مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، والمراد به: حكمها حكم المرأة، وهذا قول الشافعي، وقد حكي عنه أنه قال: رأيت جدَّةً بنت إحدى وعشرين سنة، وهذا يدل على أنها حملت لدون عشر سنين، وحملت ابنتها لمثل ذلك.

فعلى هذا إذا رأت بنتُ تسع سنين دمًا تركت الصلاة، لأنها رأته في زمن يصلح للحيض، فإن اتصل يومًا وليلة فهو حيض يثبت به بلوغها وتثبت فيه أحكام الحيض كلها، وإن انقطع لدون ذلك، فهو دم فساد.

وحكى ابن قدامة خلاف هذا الرأي، وقال: والأول أصح اهـ [١].

إننا نرى في واقعنا أنه لا يكتفي في البلوغ بالسن فحسب، فقد تكون البنت في سن التاسعة وهي مكتملة النضج وقوة الجسم.

وقد تكون في سن الخامسة عشرة وهي ضعيفة لا تصلح الزواج لضعف بنيتها مع خلوها من الأمراض، فما ينبغي أن تقاس فتاة على

---

(١) المغني لابن قدامة الحنبلي ١/ ٢٦٣ ، ٢٦٤.

أخرى ولا أن يكون السن وحده فردًا في الزواج إذا بلغت البنت تسعًا، وما قيد به في وقتنا الحاضر إلا لاعتبارات أخرى ، وقد رأيت في المدارس الابتدائية بعض الفتيات في سن العاشرة يصلحن للزواج، لتوفر أوصاف الأنوثة فيهن واكتمال أجسامهن.

وقد رأيت في قناة فرانس برنامج (مراسلون) :

عن بعض قبائل جنوب أفريقية زواج البنات في سن الثامنة وأحضرت المراسلة عددًا من الفتيات المسيحيات تزوجن في سن الثامنة والتاسعة والعاشرة، ومعهن أطفال، وأقر الفتيات أنهن زوجهن في هذا السن، ولربما كانت البيئة الحارة تختلف عن البيئة الباردة في المساهمة في نضج الفتيات، وأيضًا الوسط الاجتماعي له تأثير كبير في ذلك، وفي تنمية الغريزة وتأهل الفتاة للزواج.

قال البخاري : ١٨ باب بلوغ الصبيان وشهاداتهم، وقول الله تعالى: [النور/٥٩] : (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) وقال مغيرة: احتلمتُ وأنا ابن ثنتي عشرة سنة. وبلوغ النساء إلى الحيض لقوله عز وجل : [الطلاق/٤] : (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم – إلى قوله: أن يضعن حملهن) وقال الحسن بن صالح: أدركت جارة لنا جَدَّةً بنت إحدى وعشرين سنة" [١]. قال شيخ الإسلام ابن حجر: أجمع العلماء على أن الحيض بلوغ في حق النساء، وقول : (وقال الحسن بن صالح) هو ابن حي الهمداني الفقيه الكوفي، وأثره في (المجالسة) للدينوري من طريق يحي بن آدم عنه نحوه وزاد فيه (وأقل أوقات الحمل تسع سنين) وذكر الأثر عن الشافعي أنه رأى جدة بنت إحدى وعشرين سنة، وأنها حاضت

---

[١] صحيح البخاري مع الفتح ٥/٢٧٦ ـ ك الشهادات .

لاستكمال تسع سنين ... الخ ووضعت بنتًا لاستكمال عشر، ووقع لبنتها مثل ذلك [١].

سادسًا : تتحدث السيدة عائشة عن ذكريات هذا الزواج المبارك :

فتخبر أنه لما خطبها رسول الله ﷺ كانت تلبس قميصًا قصير الكمين. فما أن خطبت حتى ألقى الله عليها الحياء، فلبست ثوبًا طويلاً سابغًا.

وتخبر أن أمها أخذت تهيؤها للزواج ليقوى جسدها، وتكتمل، فتقول: كانت أمي تعالجني للسمنة، تريد أن تدخلني على رسول الله ﷺ فما استقام لها ذلك حتى أكلت القثاء بالرطب" [٢].

وتقول ﵂ : قدمنا مهاجرين فسلكنا في ثنية ضعينة – اسم مكان– فنفر جمل كنت عليه نفورًا منكرًا، فوالله ما أنسى قول أمي: يا عريسة. فركب بي رأسه، فسمعت قائلاً يقول: ألقى خطامه، فألقيته، فقام يستدير، كأنما إنسان قائم تحته " [٣].

وكان زواجها ﵂ في شوال من السنة الثانية للهجرة، وكان هذا الانتقال من أعظم الأحداث في حياتها، ولذلك كانت تعتز بهذه الذكرى وتقول: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال ، فأي نساء رسول الله ﷺ كانت أحظى عنده مني" [٤].

سابعًا: لقد عامل رسول الله ﷺ عائشة العروس الصغيرة أحسن معاملة وتركها على سليقتها وراحتها، وتتحدث عن ذلك باعتزاز وتقدير لكرم معاملته. فلم ينس ﷺ سنها.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سنن ابن ماجه – ك الأطعمة – باب القثاء والرطب يجمعان ١١٠٤/٢ رقم ٣٣٢٤.
(٣) رواه الطبراني ، وقال في مجمع الزوائد : إسناده حسن .
(٤) رواه الإمام مسلم.

روى الإمام مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ، قالت: وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ، قالت: فكان رسول الله ﷺ يسر بهن إلي"[1].

(كن ينقمعن) : أي يتغيبن حياء وهيبة.

(ويسربهن) : أي يرسلهن ويدخلهن علي، وهذا من لطفه ﷺ وحسن معاشرته.

وفي مسند أحمد عنها رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات، ويجيء صواحبي فيلعبن معي، فإذا رأين رسول الله ﷺ، انقمعن منه، وكان رسول الله ﷺ يدخلهن على فيلعبن معي" [2].

(بالبنات) : أي باللعب التي على صورة البنات. قال القاضي عياض: فيه جواز اللعب بهن. وإنما الممنوع صورها.

وعنها رضي الله عنها قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم، يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم حتى أكون أنا التي أنصرف" متفق عليه.

ثامنا: لم تذكر لنا كتب السير والتاريخ ، أن أحدًا من أهل مكة ولا من غيرهم ممن عرف بعداوته لرسول الله ﷺ وإنكار نبوته، ورفض دعوته، وكانوا أشد الناس عداوة له، لأنه عاب آلهتهم، وسفّه أحلامهم، لم يعرف أن أحدًا من أعدائه انتقد هذا الزواج وعابه، ولو كانت عائشة قد زوجت وهي صغيرة لا تطيق الزواج لشنع أعداؤه وعابوه ﷺ لكنه لم ينقل شيء من ذلك في القرن الأول ولا غيره من القرون ، إنما أثار ذلك أعداء الإسلام لحقدهم وبغضهم وسواد قلوبهم.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ك الفضائل – فضائل عائشة ١٦/٢٠٤.

(2) الفتح الرباني ١٦/٢٣٦ رقم ٢٧٦.

تاسعاً : كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تخبر أن أبا بكر لما أخبرها بتزويجها لرسول الله ﷺ وأن الله قد زوجها له قالت: فما فرحت بشيء فرحي بقول أبي بكر : قد زوجتك منه" وكانت تحب رسول الله ﷺ حبًا جمًا.

روى الطبراني، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه قام إلى جاريته (مارية) فقمتُ ألتمس الجدر، فوجدته قائمًا يصلي فأدخلت يدي في شعره لأنظر هل اغتسل أم لا" (١).

ولا يكون هذا إلا من امرأة تحب قرب زوجها ولا تمله لو كان شخصًا عاديًا ، فما بالك بنبي الرحمة ﷺ ، وعنها رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله إن قدر لي أن أعيش من بعدك أفتأذن لي أن أدفن إلى جنبك" (٢).

وروى سعيد بن منصور عن عائشة رضي الله عنها قالت : ربما قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أبق لي" (٣).

وروى ابن النجّار عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة، فصنعتُ خريزًا (طعامًا) فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلين أو لألطخن وجهك، فقالت: ما أنا بذائقة، فأخذت من الصحفة شيئًا فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها فخفض لها ركبته لتستقيد مني، فتناولت من الصحفة شيئًا فمسحت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك، وهذا نوع من الملاطفة لعائشة ولنسائه تفوق الوصف في التواضع والألفة.

يستفاد من الحديث :

١- قال ابن بطال: رؤيا المرأة في المنام يختلف على وجوه منها: أن يتزوج الرائي حقيقة بمن يراها، ومنها أن يدل على حصول دنيا أو منزلة فيها أو سعة في الرزق، وهذا أصل عند المعبرين في ذلك، وقد تدل المرأة بما يقترن بها في الرؤيا على فتنة تحصل للرائي.

---

(١) الطبراني في الصغير ١/٢٨٨/٤٧٦ /
(٢) ابن عساكر ٤٧/٥٢٢.
(٣) كنز العمال ٢٧٣٥٤.

٢- أما ثياب الحرير فيدل اتخاذها للنساء في المنام على النكاح، وعلى العزاء، وعلى زيادة في البدن، قالوا: والملبوس كله يدل على جسم لابسه لكونه يشتمل عليه ولا سيما واللباس في العرف دال على أقدار الناس وأحوالهم اهـ[١].

٣- قال الماوردي: الفقهاء يقولون: تزوج عائشة قبل سودة، والمحدثون يقولون: تزوج سودة قبل عائشة، وقد يجمع بينهما: بأنه عقد على عائشة ولم يدخل بها، ودخل بسودة، فقول عائشة ﵂: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، وقوله: فلبث سنتين أو قريبًا من ذلك أي لم يدخل على أحد من النساء، ثم دخل على سودة بنت زمعة قبل أن يهاجر، ثم بنى بعائشة بعد أن هاجر.

وقال الدمياطي في السيرة له: ماتت خديجة في رمضان، وعقد على سودة في شوال، ثم على عائشة، ودخل بسودة قبل عائشة (رضي الله عن أمهات المؤمنين" اهـ[٢].

* * *

---

(١) فتح الباري ١٢/٤٠٠.
(٢) فتح الباري ٧/٢٢٥.